المحاضرة السابعة :

ابن سينا واستشكالاته الفلسفية

التعريف بابن سينا:

هو الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي بن سينا، المكنى بابي علي، واللقب بالشيخ الرئيس،ولد، ب حران في القرن الثالث للهجرة 370ه الموافق ل 980ميلادية، وتوفي 428ه الموافق ل 1037م. فارسي الأصل. ترك موروثاً فكريا وعلميا ضخماً، في علوم عدة منها الطب والطبيعيات، أهم مؤلفاته في الطب(**كتابا القانون في أربعة عشر مجلداً، وفي الفلسفة كتاب النجاة في ثمانية عشر مجلد، مختصر كتاب النجاة في ثلاث مجلدات، وكتاب الإشارات والتنبيهات، مثلما ترك كتباً في الموسيقى والأدب واللغة والاجتماع** كما رسائل عديدة في الفلسفة والطب والدين وعلم الفلك ورسائل بيّن فيها فساد علم التنجيم، كما له مقالات متنوعة الموضوعات، معظمها في الدين، وفي مسائل ذات علاقة بسنن الحياة والدين في آن واحد،مثل رسالته في العبادة ورسالة في الموت، ورسالة الطير، ورسالة السياسة وهي مؤلف يتناول قضايا جد هامة في الحياة الاجتماعية والسياسية للإنسان، لها علاقة وطيدة بالتربية والتعليم. ورسالة في القوى النفسانية ورسالة في معرفة النفس الناطقة.

عند الرجوع إلى مؤلفاته يظهر انه اشتغل على العديد من الميادين العلمية ولفكرية التي لها علاقة ما بالعلوم ومناهجها وتطويرها، كما اهتم بالمواضيع التي يمكن ان يسهم البحث فيها من امتلاك معرفة علمية لطبيعة الحياة الإنسانية وما يمكن ان يساهم في تطويرها وإعداد الإنسان السوي القادر على بلوغ السعادة. وقد استعان لبلوغ هذه المقاصد بفن الأدب والشعر عند التأليف في علم المنطق والأخلاق والاجتماع والطب، وروايته الفلسفية شاهد قوي على توسله بفن الرّواية لمناقشة مسائل فلسفية ترتبط بقدرات الإنسان المعرفية- رواية حي بن يقضان-.

فلســـفته:

تميزت فلسفته بطابعها العقلي والصوفي في آن واحد، فهي عقلية من ناحية المبادئ التي أنشأ عليها فلسفته، لإقراره بقدرة العقل البشري على امتلاك الحقيقة، لكن اشترط لبولغ العقل هذه المرتبة المعرفية تحقق ما يسميه هو بالاتصال-متبعاً في ذلك المعلم الثاني ابو نصر الفارابي- بالعقل الفعّال، الذي تشرق المعرفة منه على عقول البشر، الفلسفة الإشراقية .

تصنيفه للعلوم: مثلما سبق وأن ذكرنا، للشيخ الرئيس اهتمامات معرفية ذات علاقة بتقسيم العلوم وأهمية كل علم، سعياً منه لبيان الحاجة لكل العلوم مهما كان منشؤها ومبحثها، فحتى الموسيقى عنده بمثابة علم يجب الاهتمام به، وتوجيه المتعلمين إليه، لما له من أهمية تربوية وعلاجية و وقائية وكذلك هو فرصة يمكن للفرد بها من امتلاك حرفة لكسب الرزق وخدمة المجتمع. وعند الرجوع إلى رسالته في السياسة نجده يبيّن أهمية الموسيقى في التربية وتليين وتهذيب النفوس، وكذلك على ترويضها وشحنها لتسترجع قوتها واستقرارها.كما يبيّن دور التربية و التعليم في توجيه وتكوين الفرد، للتأقلم مع مقتضيات الحياة، الأسرية والاجتماعية والسياسية، حيث نجده يؤكد على الدور المفصلي للمعلم في توجيه المتعلمين للتخصصات التي تناسبهم وتتماشى وقدراتهم وميولهم، وفي هذا تأكيد على السلطة البيداغوجية للمعلم وضرورة انصياع الأسرة لهذه السلطة و وتأكيد كذلك على واجب الدولة على توفير كل الفرص لانخراط الفرد المتعلم في معركة الحياة ليصبح له دورا ايجابيا، وفعالاً حيث يقول" فلا يكون في المدينة إنسان معطل ليس له مقام يكون لكل واحد منهم منفعة في المدينة". انظر ، مهدي فضل الله، ابن سينا سلسلة نوابغ الفكر العربي، ص .43

ولهذا فهو يقسم العلوم إلى:

- العلوم العالية التي لا علاقة لها بالمادة- الحكمة الأولى- ما وراء الطبيعة. وهي العلم الإلهي الذي يتناول اعتبار الموجودات من حيث مفارقتها تصوراً وقواماً، وهو القسم النظري من الفلسفة، لكن يوجد قسم عملي وه الفلسفة العملية التي تبحث في

سلوك الإنسان إمّا من جهة تصرفاته الشخصية وهذا هو علم الأخلاق، وإمّا من جهة تصرفه مع غيره من الناس وهو علم السياسة، والفلسفة تجمع هذه العلوم كلها، وغرضها " الوقوف على حقائق الاشياء كلها على قدر ما يمكن الإنسان أن يقف عليه" وغاية الفلسفة النظرية تكميل النفس بالعلم، وغاية العملية تكميل النفس بالعمل وبتعبير آخر فغاية الأولى هي معرفة الحق والثانية معرفة الخير.

- العلوم الدنيا وهي الخاصة بالمادة: الطبيعيات وما يتبعها وهي العلوم الخاصة بكل ما كان له مادة ظاهرة و ما نشأ عنها.

- العلوم الوسطى وهي التي تتعلق تارة بما وراء الطبيعة وطورا بالمادة وهي الرياضيات.

تقسيمه للكائنات:

لقد قسم الكائنات – الموجودات – في نظرية الكائن الممكن والضروري الى ثلاث أقسام:

1 – كائن ممكناً فقط وهو يشمل كل الكائنات التي تولد وتموت.

2- كائن ممكنا بذاته وضرورياً بسبب خارج عنه، وهو يشمل كل كائن قابل للتولد والفناء(ماعدا السبب الأول مثل الدوائر والأفلاك) وهي بالنسبة إليه كائنات روحية، كما تشمل العقول التي هي بذاتها كائنات ممكنة ولا تصير واجبة إلا باتصالها بالسبب الأوّل.

3- كائن واجبا بذاته وهو الله.

رأيه في اشكالية الوجود: يقول ابن سينا في كتابه - الإشارات-**" اعلم انه قد يغلب على أوهام الناس أن الموجود هو المحسوس، و أنّ ما لا يناله الحس بجوهره ففرض وجوده محال، و أنّ ما لا يتخصّص بمكان أو وضع بذاته كالجسم، أو بسبب مّا هو فيه كأحوال الجسم، فلا حظّ له من الوجود، وأنت يتأتى لك أن تتأمل نفس المحسوس، فتعلم منه بطلان قول هؤلاء، لأنك ومن يستحق أن يُخاطب، تعلمان أن هذه المحسوسات قد يقع عليها اسم واحد، لا على سبيل الاشتراك الصرف، بل بحسب معنى واحد، مثل اسم إنسان، فإنّكما لا تشكان في أن**

وقوعه على زيد وعمرو بمعنى واحد، موجود... فإذن الإنسان من حيث هو واحد الحقيقة، بل من حيث حقيقته الأصلية التي لا تختلف بالكثرة، غير محسوس، بل معقول صرف وكذلك الحال في كل كلي" (الإشارات، ج 3،ص18-19.) وهو هنا يطعن في الذين لا يؤمنون إلاّ بالمحسوسات ويسميهم بالبلهاء، حيث أوصد الطريق امام جعل الوجود الحسي و الإحساس به شرطا لإثبات وجود الله، فالطريق الى معرفة وجوده عقلي لا حسّي، ولا يمكن أن يكون غير ذلك، وهذا لأنه الله ليس من المجسمات او المحسوسات، ومنه يكون الاعتماد على الحس وحده،ورفض المعقولات الكليّة هو تضييق للعقل وقدرته على إدراك وجود الله.

وقد سلك ابن سينا طريقا فلسفيا يقوم على النظر العقلي لتأكيد وجود الله، مقتفيا بذلك طريق ارسطو والفارابي، مؤكداً ان الله موجود مطلق، وهو يعتمد في ذلك على تقسيمه لأنواع الموجودات، معتبرا الله هو الواجب الوجود.

_ويسمى البرهان الذي اعتمد ابن سينا لتأكيد وجود الله الذي هو عنده واجب الوجود ب برهان الصديقين:

برهان الصديقين: وهو حجة صاغها ابن سينا لإثبات وجود الله من خلال تقسيمه لأنواع الوجود وقوله بالوجود الواجب الوجود والوجود الممكن الوجود، حيث اعتقد أنه لا بد من أن يكون هناك " واجب الوجود" أي شيء لا يُمكن أن يكون غير موجود، ويبيّن هذا البرهان على أنّ المجموعة التي تشمل جميع الموجودات الممكنة لا بد أن يكون لها سبب غيرُ ممكن؛ لأنه لو كان مُمكناً لأدرج في هذه المجموعة-أي هو موجود ممكن وهو يحتاج إلأى غيره ليوجد- وباستعمال سلسلة من الحجج يصل إلى استنتاج مفاده أنّ واجب الوجود له صفات معينة ينفرد بها، مثل البساطة والوحدانية – صفات مطلقة-

واجب الوجود وهو " الموجود الذي متى فُرض غير موجود عرّض منه المحال. وأن الممكن الوجود هو الذي متى فُرض غير موجود أو موجودا لم يعرض منه محال" وهو بهذا يؤكد أن واجب الوجود ضروري من الناحية العقلية

والوجودية، فوجود الموجودات يستلزم عقلا وجود موجدا لها يكون وجوده مستقلا بذاته لا يحتاج إلى شيء يُلزم وجوده، فهو خارج الممكنات. من المحال ان نتصور عدم وجوده.

يرى ابن سينا أن لكل موجود علّة في وجوده، وما عدا الله لأنه اجب الوجود بذاته، ولأنه مبدأ كل معلول، فهو لا يحتاج إلى علّة لوجوده سواء كانت علّة فاعلة- سبب فاعل- او علّة غائية- سبب غائي- فهو العلة الأولى للوجود ولهذا فهو واجب الوجود."علة لكل وجود،ولعلة حقيقة كل وجود في الوجود"**(ابن سينا، الإشارات ج 3 ص30).**

واجب الوجود بغيره: بعد ان بيّن ابن سينا طبيعة الوجود الواجب الوجود لذاته وهو مصدر وعلة الوجود كله، وهو الله انتقل إلى قسم آخر من أنواع الوجود وهو وجود واجب الوجود بغيره، وهو نوع من الوجود يجب ان يكون موجودا، لكن هذا الوجود يحتاج إلى توفر شروط خارجية عنه، تكون علة وجوده، ويقد في ذلك أمثلة منها ما هو مرتبط بالمقولات العقلية مثل القول اثنين واثنين يلزم عنه وجوبا أربعة، كما يقدم مثالا حسياً يتعلق بالنار، حيث يرى أنّ فعل الاحتراق واجب الوجود، لكن هذا الوجوب مرتبط بغيره من الشروط، وهذا الطرح يبيّن تصور ابن سينا لنظام السببية، حيث يرى أن لكل موجود علة في وجوده، ما عدا الله لأنه واجب الوجود بذاته، وهو مبدأ كل معلول.

الوجود الممكن: وهو النوع الثالث للوجود فهو يثمثل في الوجود الممكن، أي يمكن أن يكون كما يمكن أن لا يكون، وجوده مرتبط بغيره من العلل الفاعلة والغائية، فوجد الولد عند الزوج ممكن، لكن ليس ضرورة.

يوظف كخلاصة:

لقد سلك ابن سينا لإثبات وجود الله طريقاً يختلف عن طريق الشرع وما جاء في القرآن من أدلّة، كما يختلف من وجه آخر عن الفرق الكلامية. أمّا الطريق القرآني فقد فصله ابن رشد في كتابه – **الكشف عن مناهج الأدلة في إثبات عقائد الملة**- بع أن ذكر أدلّة المتكلمين والصوفية، وأهل السنة واعترض عليهم، ثم ذهب إلى ان

القرآن ينص على دليلين هما دليل العناية، ودليل الاختراع. فدليل العناية، أي موافقة الكائنات للإنسان، مثل قوله تعالى((ألم يجعل الأرض مهاداً)) وكذلك دليل الاختراع الذي يظهر في قوله تعالى((أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)) وهما دليلين كافيين لإثبات وجود الخالق تعالى حسب ابن رشد، يمكن الوصول إليها بالنظر العقلي. وهو على هذا انتقد أدلة المتكلمين التي يرى إنها لا تقد أي جديد وقد تنتج عنها فراغات فكرية قد تؤدي إلى التشويش على عقول الناس وتفتح المجال إلى افتراضات تتعلق بزمن الحدوث والخلق. أمّا ابن سينا فقد سلك طريقا عقليا يقوم على تقسيمه لأنواع الموجودات ومعنى واجب الوجود بذاته وبغيره وممكن الوجود. فهو يرى ان معرفة وإدراك وجود الله تتحقّق في التأمل في طبيعة الوجود نفسه دون الرجوع إلى مظاهرة او النظر في مخلوقاته، حيث يقول في مؤلفه **الإشارات** ص 35" **تأمّل كيف لم يحتج بياننا لثبوت الأوّل و وحدانيته إلى تأمّل لغير نفس الوجود، ولم يحتج إلى اعتبار من خلقه وفعله، وإن كان ذلك دليلاً عليه، لكن هذا الباب أوثق وأشرف، أي إذا اعتبرنا حال الوجود، فشد به الوجود من حيث هو وجود وهو يشهد بعد ذلك على سائر ما بعد الوجود"** ويظهر هنا أن ابن سينا لا ينكر أهمية النظر في المخلوقات لمعرفة الخالق باعتبارها دليلا على وجود الخالق، لكنه اختار، طريقة فلسفية أخرى يرى أنها لا تنتهي بمشكلات عويصة يصعب الخروج منها كمشكلة القدم والمكان، ووجود فراغ زمني بين وجود واجب الوجد والوجود الممكن الوجود.

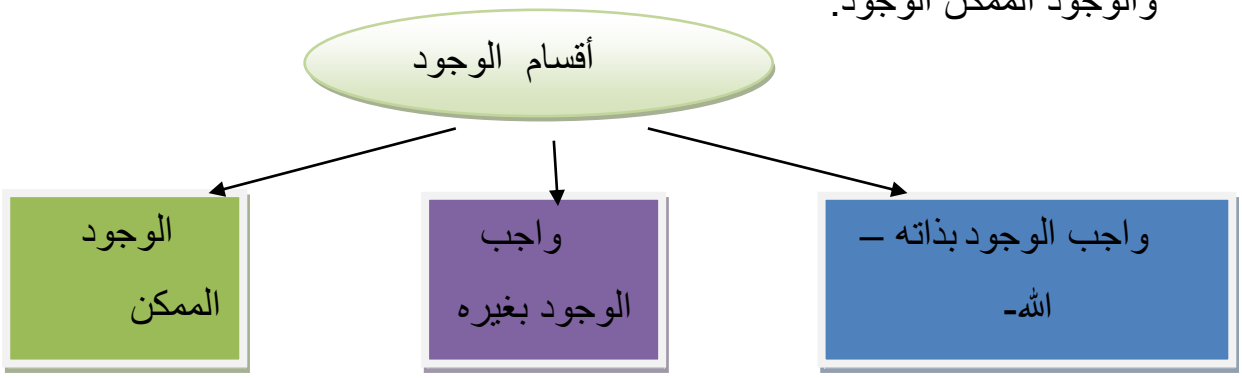

صفات الله: بالنسبة له الله منزه عن كل نقص، فهو البساطة و الكمال المطلق، الواحد الخير المحض، الإرادة المطلقة، لا مثل له ولا ند له، ولا إشارة إليه.

معرفته للجزئيات: ينفي عنه تعالى إدراك الجزئيات مباشرة، مع حرصه على إظهاره مدركاً للجزئيات، خلافا لأرسطو والفارابي((لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض)) فهو عارف بالقرآن وصفات الله تعالى فيه، ولهذا فقد حاول تنزيه علم الله تعالى من الجزئيات باعتبارها نقائص، لكن من جهة أخرى يؤكد أن علم الله كلّي وشامل" إنمّا يعقل كلّ شيء على نحو كلّي، ومع ذلك فليس يعزب عنه شيء شخصي، فإذا عقل ذاته وعقل انه مبدأ كل موجود عقل أوائل الموجودات عنه، وما يتولّد عنها ولا شيء من الأشياء يوجد إلاّ صار، من جهة ما واجباً بسببه" (**ابن سينا كتاب النجاة**). انه يثبت معرفة الله المسببات بمعرفته للأسباب والقوانين العامة التي تنظم الوجود، ويرى أن العناية الإلهية ظاهرة في سنن الله الطبيعية نظامّا بديعاً ثابتاً. حسب ابن سينا معرفة الإنسان لله ولصفاته ولطبيعة علمه يمكن ان تتحقق برجوعه أعماقه وتأمله واستشعاره حقيقة الخالق وعظمته. وهذا يبيّن التوجه الشعوري عند ابن سينا او الرجوع إلى أعماق النفس -الباطن- لتشرق الحقيقة فيها.

واجب الوجود هو صياغة لفظية للحدس البشري للإيمان، ويطلب أساس هذا الحدس: الإلهى.